هذا كتاب المنقذ من الضلال تأليف الامام العلامة
حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد
الغزالي قدس الله سره وجعل
الفردوس مقره

آمين

طبع في المطبعة الاعلامية

بمصر القاهرة

سنة ١٣٠٣



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة والرساله وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلاله (أما بعد) فقد سألتني أيها الاخ في الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها * وغائلة المذاهب وأغوارها * وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق * مع تباين المسالك والطرق * وما اجترأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام * وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام * وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف * وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف * وما انحل لي في تضاعيف

الخلق من لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة
وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك
الى مطلبك * بعد الوقوف على صدق رغبتك * وقلت مستعينا بالله
ومتوكلا عليه * ومستوفقا منه وملتجئا اليه * اعلموا أحسن الله تعالى
ارشادكم * وألان للحق قيادكم * أن اختلاف الخلق في الاديان والملل
ثم اختلاف الائمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر
عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون وكل فريق
يزعم أنه الناجي و (كل حزب بما لديهم فرحون) وهو الذي وعدنا به
سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق حيث قال
(ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة) فقد كاد
ما وعد أن يكون ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل
بلوغ العشرين الى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا
البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور * لا خوض الجبان
الحذور * وأتوغل في كل مظلمة * وأتهجم على كل مشكلة * وأتقحم كل
ورطة * وأتفحص عن عقيدة كل فرقة * وأستكشف أسرار مذهب
كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا أغادر باطنيا الا
وأحب أن أطلع على بطانته * ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل
ظاهريته * ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته * ولا متكلما
الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته * ولا صوفيا الا
وأحرص على العثور على سر صفوته * ولا متعبدا الا وأترصد ما يرجع
اليه حاصل عبادته * ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه

لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته * وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي * لا باختياري وحيلتي * حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) فتحرك باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات فقلت في نفسي أولا انما مطلوبي العلم بحقائق الامور فلابد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وانكارا فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا

كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء
الواحد والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما واجبا
محالا فقالت المحسوسات بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات
كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني
ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء ادراك العقل
حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل
فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على
استحالته فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت اشكالها
بالمنام وقالت أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد
لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم
يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون
جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالاضافة الى حالتك
لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة
يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا أوردت
تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها
ولعل تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون أنهم
يشاهدون في أحوالهم التي اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم
أحوالا لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت اذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) فلعل
الحياة الدنيا نوم بالاضافة الى الآخرة فاذا مات ظهرت له الأشياء على
خلاف ما شاهده الآن ويقال له عند ذلك (فكشفنا عنك غطاءك

أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم
لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني

﴿ القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم ﴾

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه
الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول
اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات
والضروريات فلا بد من احكامها أولا لأتبين أن ثقتي بالمحسوسات
وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل
في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان
محقق لا غدر فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات
والضروريات وانظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى بي
طول التشكك الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات
أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات
وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك
وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه يتحرك
وانه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له
حالة وقوف وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم
الادلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الارض في المقدار هذا
وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه
حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت قد بطلت
الثقة بالحسيات أيضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الاوليات

فيضرك اليوم حديد) فلما خطرت لي هذه الخواطر انقدحت في
في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يمكن دفعه الا بالدليل
ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة
لم يمكن ترتيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا
فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى
شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال
ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين
ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في
الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن أن الكشف
موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما سئل
رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (فمن يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فقال (هو نور يقذفه الله تعالى
في القلب) فقيل وما علامته فقال (التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود) وهو الذي قال عليه السلام فيه (ان الله تعالى خلق
الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره) فمن ذلك النور ينبغي أن
يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض
الاحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام (ان لربكم في أيام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) والمقصود من هذه الحكايات أن
يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهي الى طلب ما لا يطلب فان الاوليات
ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن
طلب ما لا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب

﴿ القول فى أصناف الطالبين ﴾

ولما شفانى الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده وانحصرت
أصناف الطالبين عندى فى أربع فرق المتكلمون وهم يدعون
أنهم أهل الرأى والنظر والباطنية وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم
والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون
أنهم أهل المنطق والبرهان والصوفية وهم يدعون أنهم خواص
الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة فقلت فى نفسى الحق لا يعدو عن
هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان
شذ الحق عنهم فلا يبقى فى درك الحق مطمع اذ لا مطمع فى الرجوع
الى التقليد بعد مفارقته اذ من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم
ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق
والتأليف الا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صنعة أخرى مستجدة
فابتدرت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا
بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية
ومربعا بطريق الصوفية

﴿ القول فى بيان مقصود علم الكلام وحاصله ﴾

ثم انى ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين
منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده
غير واف بمقصودى وانما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها
عن تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى الى عباده على لسان
رسوله عقيدة هى الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق

بمعرفته

ـرفاته القرآن والاخبار ثم القى الشيطان فى وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها فانشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى اليه فاحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة والتغيير فى وجه ما احدث من البدعة ولكنهم اعتمدوا فى ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم الى تسليمها اما التقليد أو اجماع الامة أو مجرد القبول من القرآن والاخبار وكان أكثر خوضهم فى استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع فى جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيأ أصلا فلم يكن الكلام فى حقى كافيا ولا لدائى الذى كنت أشكوه شافيا نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون الى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الامور وخاضوا فى البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة فى اختلافات الخلق ولا ابعد ان يكون قد حصل ذلك لغيرى بل لست اشك فى حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد فى بعض الامور التى ليست من الاوليات والغرض الآن حكاية حالى لا الانكار على من استشفى به فان ادوية الشفاء تختلف باختلاف

الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر

﴿ القول في اطاصيل الفلسفة ﴾

وما يذم منها وما لا يذم وما يكفر فيه قائله وما لا يكفر وما يبتدع فيه
وما لا يبتدع وبيان ما سرقوه من كلام أهل الحق ومزجوه بكلامهم
لترويج باطلهم في درج ذلك وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك
الحق وكيفية استخلاص صراف الحقائق الحق الخالص من الزيف
والبهرج من جملة كلامهم ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام
بعلم الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف
على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه
ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور
وغائلة فاذ ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده حقا ولم ار احدا من
علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب
المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة
مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي
فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت ان رد المذهب قبل فهمه
والاطلاع على كنهه رمي في عماية فشمرت عن ساق الجد في تحصيل
ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ واقبلت
على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم
الشرعية وانا ممنو بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد
فاطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى
علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد

بعرفانه

فهذه قريبا من سنة اعاوده وارددّه واتفقد غوائله واغواره حتى
اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا
لم أشك فيه فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم فاني رأيتهم
أصنافا ورأيت علومهم أقساما وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم سمة
الكفر والالحاد وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاواخر
منهم والاوائل تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه

﴿ فصل في اصنافهم وشمول سمة الكفر كافتهم ﴾

اعلم أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاثة
أقسام الدهريون والطبيعيون والالهيون (الصنف الاول الدهريون)
وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا
ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان
من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا وهؤلاء
هم الزنادقة (الصنف الثاني الطبيعيون) وهم قوم أكثروا بحثهم عن
عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات وأكثروا الخوض في علم
تشريح اعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع
حكمته فاضطروا معه الى الاعتراف بقادر حكيم مطلع على غايات
الامور ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الاعضاء مطالع
الا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان
لاسيما بنية الانسان الا ان هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر
عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا
ان القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا وانها تبطل ببطلان

مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلا يعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا
الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار
والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب
فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهؤلاء
أيضا زنادقة لان أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء
جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله وبصفاته (الصنف الثالث
الالهيون) وهم المتأخرون منهم سقراط وهو استاذ افلاطون
وافلاطون استاذ ارسطاطاليس وارسطاطاليس هو الذي رتب لهم
المنطق وهذب العلوم وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل وانضج لهم
ما كان فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الاولين
من الدهرية والطبيعية واوردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا
به غيرهم (وكفى الله المؤمنين القتال) بتقاتلهم ثم رد ارسطاطاليس
على افلاطون وسقراط ومن كان قبله من الالهيين ردا لم يقصر
فيه حتى تبرأ عن جميعهم الا انه استبقى أيضا من رذائل كفرهم
وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع منها فوجب تكفيرهم وتكفير
متبعيهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهما على
انه لم يقم بنقل علم ارسطاطاليس احد من متفلسفة الاسلاميين
كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط
يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد او يقبل
ومجموع ما صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس بحسب نقل هذين
الرجلين ينحصر في ثلاثة أقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب

تبديعه

التبديع به وقسم لا يجب انكاره أصلا فلنفصله

﴿ فصل فى أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الغرض الذى نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شئ منها بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هى أمور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آفتان الاولى من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم فى الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تناولته الالسن فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم فى هذا العلم فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم فيستدل على ان الحق هو الجحد والانكار للدين وكم رأيت من ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه واذا قيل له الحاذق فى صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا فى كل صناعة فلا يلزم ان يكون الحاذق فى الفقه والكلام حاذقا فى الطب ولا ان يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها البراعة والسبق وان كان الحمق والجهل قد يلزمهم فى غيرها فكلام الاوائل فى الرياضيات برهانى وفى الالهيات تخمينى لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذى اتخذ بالتقليد لم يقع منه موقع القبول بل تحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب

الناس على ان يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بامر الدين لكن لما كانت من مبادي علومهم يسري اليه شرهم وشؤمهم فقل من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

(الآفة الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع فيزداد للفلسفة حبا وللاسلام بغضا ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية وقوله عليه السلام (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة) ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص وأما قوله لكن الله اذا تجلى لشئ خضع له فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلا فهذا حكم الرياضيات وآفتها (وأما المنطقيات) فلا يتعلق شئ منها بالدين نفيا واثباتا بل هو النظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان

البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (ا) (ب) لزم ان بعض (ب) (ا) اى اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية وأى تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا انكر لم يحصل من انكاره عند أهل المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذى يزعم انه موقوف على مثل هذا الانكار نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو انهم يجمعون للبرهان شروطا يعلم انها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق أيضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيد بمثل تلك البراهين فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة أيضا متطرقة اليه

﴿ وأما علم الطبيعيات ﴾ فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الانسان

واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط
الدين انكار علم الطب فليس من شرطه ايضا انكار ذلك العلم
الا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما
يجب المخالفة فيها فعند التأمل يتبين انها مندرجة تحتها واصل جملتها
ان يعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من
جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بامره لا فعل
لشيء منها بذاته عن ذاته ﴿ وأما الالهيات ﴾ ففيها أكثر أغاليطهم
فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثر
الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب ارسطاطاليس مذهبه فيها من
مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع
ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها
وتبديعهم في سبعة عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين
صنفنا كتاب التهافت أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين
وذلك في قولهم ان الاجساد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي
الارواح المجردة والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا
في اثبات الروحانية فانها كائنة أيضا ولكن كذبوا في انكار
الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله
تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات فهو ايضا كفر صريح بل الحق انه
(لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ومن ذلك
قولهم بقدم العالم وازليته فلم يذهب أحد من المسلمين الى شيء من هذه
المسائل وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم انه عليم بالذات لا بعلم

في اسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم
ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب بصائرهم وزعمت ان تلك الكلمات
من كلام الاوائل مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد ان
يقع الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية واكثرها
موجود معناها في كتب الصوفية وهب انها لم توجد الا في كتبهم فاذا
كان ذلك الكلام معقولا في نفسه مؤيدا بالبرهان ولم يكن على مخالفة
الكتاب والسنة فلم ينبغي ان يهجر وينكر فلو فتحنا هذا الباب
وتطرقنا الى ان يهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا ان نهجر
كثيرا من الحق ولزمنا ان نهجر جملة من آيات القرآن واخبار الرسول
وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية لان صاحب كتاب اخوان
الصفا اوردها في كتابه مستشهدا بها ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها
الى باطله ويتداعى ذلك الى ان يستخرج المبطلون الحق من أيدينا
بايداعهم اياها كتبهم واقل درجة العالم ان يتميز عن العامي الغمر فلا
يعاف العسل وان وجده في محجمة الحجام ويتحقق ان المحجمة لا تغير
ذات العسل وان نفرة الطبع عنه مبني على جهل عامي منشؤه ان
المحجمة انما صنعت للدم المستقذر فيظن ان الدم مستقذر لكونه في
المحجمة ولا يدري انه مستقذر لصفة في ذاته فاذا عدمت هذه الصفة
في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة فلا ينبغي ان يوجب له
الاستقذار وهذا وهم باطل وهو غالب على أكثر الخلق فمهما نسبت
الكلام واسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا
وان اسندته الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فابدا يعرفون

الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال هذه آفة الرد
(الآفة الثانية) آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا
وغيره فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية
ربما استحسنها وقبلها وحسن اعتقاده فيهم فيسارع الى قبول باطلهم
الممزوج به بحسن ظن حصل مما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج
الى الباطل ولاجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها
من الغدر والخطر وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق
الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب وكما يجب صون
الصبيان عن مس الحيات يجب صون الاسماع عن مختلط تلك
الكلمات وكما يجب على المعزم ان لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل
اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله بل يجب عليه ان يحذره منه بان
يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله وكما
ان المعزم الحاذق اذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم فاستخرج منه
الترياق وابطل السم فليس له ان يشح بالترياق على المحتاج اليه
وكذلك الصراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس القلاب
واخرج منه الابريز الخالص واطرح الزيف والبهرج فليس له ان
يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه كذلك العالم وكما ان المحتاج الى
الترياق اذا اشمأزت نفسه عنه حيث علم انه مستخرج من الحية التي هي
مركز السم والفقير المضطر الى المال اذا نفر عن قبول الذهب
المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على ان نفرته جهل محض
هو سبب حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه ويحتم تعريفه على ان

قرب

قرب الجوار بين الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفا كما لا يجعل الزيف
جيدا فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل لا يجعل الباطل حقا
كما لا يجعل الحق باطلا فهذا مقدار ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة
وغائلتها

﴿ القول فى مذهب التعليم وغائلته ﴾

ثم انى لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما يزيف
منه علمت ان ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض وان العقل ليس
مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات
وكان قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى
الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق عن لى ان أبحث عن
مقالاتهم لاطلع على ما فى كتبهم ثم اتفق ان ورد على أمر جازم من
حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعنى
مدافعته وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الاصلى من
الباطن فابتدأت لطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغنى بعض
كلماتهم المستحدثة التى ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج
المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا
للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل الحق منى
مبالغتى فى تقرير حجتهم وقال هذا سعى لهم فانهم كانوا يعجزون عن
نصرة مذهبهم لمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك اياها
وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر احمد بن حنبل على الحارث
المحاسبى تصنيفه فى الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة

فرض فقال احمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا ثم اجبت عنها فلم
تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب
أو ينظر الى الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره احمد حق ولكن في شبهة
لم تنتشر ولم تشتهر أما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب
الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلفوها ولم
اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من
أصحابي المختلفين الى بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم
وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم
يفهموا بعد حجتهم وذكر تلك الحجة وحكاها عنهم فلم أرض لنفسي ان
يظن بي غفلة عن أصل حجتهم فلذلك أوردتها ولا ان يظن بي اني وان
سمعتها لم افهمها فلذلك قررتها والمقصود اني قررت شبهتهم الى
اقصى الامكان ثم اظهرت فسادها والحاصل انه لا حاصل عند هؤلاء
ولا طائل لكلامهم ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك
البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة ولكن شدة التعصب دعت
الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم والى
مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في دعواهم الحاجة الى
التعليم والى المعلم ودعواهم انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم
وظهرت حجتهم في اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم وضعف قول
المنكرين في مقابلته فاغتر بذلك جماعة وظنوا ان ذلك من قوة
مذهبهم وضعف مذهب المخالف له ولم يفهموا ان ذلك لضعف ناصر
الحق وجهله بطريقه بل الصواب الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لابد

وان

وان يكون المعلم معصوما ولكن معلمنا المعصوم هو محمد عليه السلام فاذا قالوا هو ميت فنقول ومعلمكم غائب فاذا قالوا معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وهو ينتظر مراجعتهم ان اختلفوا أو اشكل عليهم مشكل فنقول ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وأكمل التعليم اذ قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته بقي قولهم كيف يحكمون فيما لم يسمعوه أفبالنص ولم يسمعوه أم بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف فنقول نفعل ما فعله معاذ اذ بعثه رسول الله عليه السلام الى اليمن أو يحكم بالنص عند وجوده وبالاجتهاد عند عدمه بل كما يفعله دعاتهم اذا بعدوا عن الامام الى أقاصي الشرق اذ لا يمكنه أن يحكم بالنص فان النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع الغير المتناهية ولا يمكنه الرجوع في كل واقعة الى بلدة الامام والى أن يقطع المسافة ويرجع ويكون المستفتي قد مات وفات الانتفاع بالرجوع فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق الا أن يصلي بالاجتهاد اذ لو سافر الى بلدة الامام لمعرفة القبلة لفات وقت الصلاة فاذا جازت الصلاة الى غير القبلة بناء على الظن ويقال ان المخطئ في الاجتهاد له أجر واحد وللمصيب أجران فكذلك في جميع المجتهدات وكذلك أمر صرف الزكاة الى الفقير وربما يظنه فقيرا باجتهاده وهو غني باطنا باخفائه ماله ولا يكون مؤاخذا به وان أخطأ لانه لم يؤاخذ الا بموجب ظنه فان قال ظن مخالفه كظنه فنقول هو مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة يتبع ظن نفسه وان خالفه غيره وان قال فالمقلد يتبع أبا

حنيفة والشافعي رحمهما الله أو غيرهما فأقول والمقلد في القبلة عند الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع فسيقول له مع نفسه اجتهاد في معرفته الافضل الاعلم بدلائل القبلة فيتبع ذلك الاجتهاد فكذلك في المذاهب فرد الخلق الى الاجتهاد ضرورة الانبياء والائمة مع العلم قد يخطئون بل قال رسول الله عليه السلام (أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) أى أنا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما أخطؤا فيه ولا سبيل الى الامن من الخطأ للانبياء في مثل هذه المجتهدات فكيف يطمع في ذلك ولهم ههنا سؤالان أحدهما قولهم هذا وان صح في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقائد اذ المخطئ فيه غير معذور فكيف السبيل اليه فأقول قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك من التفصيل والمتنازع فيه يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم وهى الموازين التى ذكرها الله تعالى في كتابه وهى خمسة ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم فان قال خصومك يخالفونك في ذلك الميزان فأقول لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه اذ لا يخالف فيه أهل التعليم لاني استخرجته من القرآن وتعلمته منه ولا يخالف فيه أهل المنطق لانه موافق لما شرطوه في المنطق غير مخالف له ولا يخالف فيه المتكلم لانه موافق لما يذكره في أدلة النظريات وبه يعرف الحق في الكلاميات فان قال فان كان في يدك مثل هذا الميزان فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق فأقول لو أصغوا الى لرفعت الخلاف بينهم وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس المستقيم فتأمله لتعلم أنه حق

وانه

وأنه يرفع الخلاف قطعا الواصفوا ولا يصغون بأجمعهم بل قد أصغى الى طائفة فرفعت الخلاف بينهم وامامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم يرفع الى الآن ولم يرفع (على رضى الله عنه) وهو راس الائمة أو يدعى أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء قهرا فلم يحملهم الى الآن ولاى يوم أجله وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالف نعم كان يخشى من الخلاف نوع من الضرر لا ينتهى الى سفك الدماء وتخريب البلاد وايتام الاولاد وقطع الطرق والاغارة على الاموال وقد حدث فى العالم من بركات رفعكم الخلاف مالم يكن بمثله عهد فان قال ادعيت انك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء اليك دون خصمك ولك خصوم يخالفونك ولا فرق بينك وبينهم وهذا هو سؤالهم الثانى فأقول هذا أولا ينقلب عليك فانك اذا دعوت هذا المتحير الى نفسك فيقول المتحير بم صرت أولى من مخالفيك واكثر أهل العلم يخالفونك فليت شعرى بماذا تجيب أتجيب بان تقول امامى منصوص عليه فمن يصدقك فى دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول وانما لم يسمع دعوالك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه سلم لك النص فاذا كان متحيرا فى أصل النبوة فقال هب ان امامك يدلى بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدقى انى أحيى أباك فأحياه فنا طقنى بانى محق فبماذا أعلم صدقه ولم يعرف كافة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة بل عليه من الاسئلة المشكلة مالا يرفع الابتدقيق النظر العقلى والنظر العقلى

لا وثوق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق مالم يعرف
السحر والتمييز بينه وبين المعجزة ومالم يعرف ان الله لا يضل عباده
وسؤال الاضلال وعسر الجواب عنه مشهور فبماذا يدفع جميع ذلك
ولم يكن امامك أولى بالمتابعة من مخالفه فيرجع الى الادلة النظرية
التي ينكرها وخصمه يدلي بمثل تلك الادلة وأوضح منها وهذا السؤال
قد انقلب عليهم انقلابا عظيما واجتمع أولهم وآخرهم على أن يحرروا
عنه جوابا لم يقدروا عليه وانما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة
ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام
ولا يسبق سريعا الى الافهام فلا يصلح للافحام فان قال قائل فهذا
هو القلب فهل عنه جواب فاقول نعم جوابه أن المتحير ان قال أنا متحير
ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها يقال له أنت كمريض يقول أنا
مريض ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود
علاج للمرض المطلق بل لمرض معين من صداع أو اسهال أو غيرهما
فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ما هو متحير فيه فان عين المسألة عرفته
الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة التي لا يفهمها أحد الا ويعترف بانه
الميزان الحق الذي يوثق بكل ما يوزن به فيفهم الميزان ويفهم أيضا
منه صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب نفس الحساب وكون المحاسب
المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد أوضحت لك في كتاب القسطاس
في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن بيان فساد
مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهري أولا وفي كتاب حجة
الحق ثانيا وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد وفي كتاب مفصل
الخلاف

بالخلاف الذي هو اثنا عشر فصلا فالثاني هو جواب كلام عرض على
بهمدان وفي كتاب الدرج المرقوم بالجداول رابعا وهو من ركيك
كلامهم الذي عرض على بطوس وفي كتاب القسطاس خامسا وهو
كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء
عن الامام لمن أحاط به بل المقصود ان هؤلاء ليس معهم شيء من
الشفاء المنجي من ظلمات الآراء بل هم مع عجزهم عن اقامة البرهان
على تعيين الامام طال ما جربناهم فصدقناهم في الحاجة الى التعليم والى
المعلم المعصوم وانه الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا
المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام بحلها
فلما عجزوا أحالوا على الامام الغائب وقالوا انه لا بد من السفر اليه
والعجب انهم ضيعوا اعمارهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ولم
يتعلموا منه شيأ أصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء حتى اذا
وجده لم يستعمله وبقي متضمخا بالخبائث ومنهم من ادعى شيأ من
علمهم وكان حاصل ما ذكره شيأ من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل
من قدماء الاوائل ومذهبه أرك مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه
ارسطاطاليس بل استرك كلامه واسترذله وهو المحكي في كتاب
اخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول
العمر في تحصيل العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث ويظن
أنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم فهؤلاء أيضا جربناهم وسبرنا ظاهرهم
وباطنهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان
الحاجة الى المعلم ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوي

فهمهم حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم ساعد وقال هات علمه
وأفدنا من تعليمه وقف وقال الآن اذا سلمت لى هذا فاطلبه فانما
غرضى هذا القدر فقط اذ علم أنه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن
حل أدنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه فهذه حقيقة
حالهم فاخبرهم تقلهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضا

﴿ القول فى طريق الصوفية ﴾

ثم انى لما فرغت من هذه العلوم اقبلت بهمتى على طريق الصوفية
وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات
النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل
بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان العلم أيسر
على من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت
القلوب لابى طالب المكى رحمه الله وكتب الحارس المحاسبى | الحارث
والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى وغير ذلك
من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت
ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع وظهر لى ان أخص
خواصهم ما لم يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل
الصفات فكم من الفرق بين ان يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما
وشروطهما وبين ان يكون صحيحا وشبعان وبين ان يعرف حد السكر
وانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على
معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد
السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شئ والصاحى يعرف حد

السكر

زائدة على الذات وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب
المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فيصل
التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين فيه فساد رأي من يتسارع الى
التكفير في كل ما يخالف مذهبه (وأما السياسيات) فجميع
كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية
السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم
المأثورة عن سلف الاولياء ﴿ وأما الخلقية ﴾ فجميع كلامهم
فيها يرجع الى حصر صفات النفس واخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها
وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية وهم
المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك
الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في
مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات اعمالها ما صرحوا بها
فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها
الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من
المتألهين لا يخلي الله العالم عنهم فانهم اوتاد الارض ببركتهم تنزل
الرحمة الى أهل الارض كما ورد في الخبر حيث قال عليه السلام
(بهم يمطرون وبهم يرزقون ومنهم كان أصحاب الكهف) وكانوا في
سالف الازمنة على ما نطق به القرآن فتولد من مزجهم كلام النبوة
وكلام الصوفية بكتبهم آفتان آفة في حق القابل وآفة في حق الراد
أما آفته في حق من رده فعظيمة اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان
ذلك الكلام اذ كان مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي ان

يعهم ولا ينكر بل ينكر على كل من يذكره لانهم اذا لم يسمعوه اولا الا منهم سبق الى عقولهم الضعيفة انه باطل لان قائله مبطل كالذي يسمع من النصراني قول (لا اله الا الله عيسى رسول الله) فينكره ويقول هذا كلام النصراني ولا يتوقف ريثما يتأمل ان النصراني كافر باعتبار هذا القول أو باعتبار انكاره نبوة محمد عليه السلام فان لم يكن كافرا الا باعتبار انكاره فلا ينبغي ان يخالف في غير ما هو كافر به مما هو حق في نفسه وان كان ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله تعالى عنه حيث (قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله) فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام ولا بأس على الصراف ان ادخل يده في كيس القلاب وانتزع الابريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته وانما يزجر عن معاملة القلاب القروي دون الصيرفي البصير ويمنع من ساحل البحر الاخرق دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع ولعمري لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بانفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل في تمييز الحق عن الباطل والهدى عن الضلالة وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب اهل الضلالة ما امكن اذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي سنذكرها وان سلموا عن هذه الآفة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا

السكر واركانه ومباديه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض
يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو فاقد للصحة فكذلك فرق
بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها وبين أن يكون حالك
الزهد وعزوب النفس عن الدنيا فعلمت يقينا انهم أرباب أحوال
لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق
الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل
معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن
صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة
وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في
نفسي لا بدليل معين محرر بل باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل
تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة
الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان راس ذلك كله قطع
علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن
الجاه والمال والهرب عن الشواغل والعلائق ثم لاحظت احوالي فاذا
انا منغمس في العلائق وقد احدقت بي من الجوانب ولاحظت
اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل على علوم غير
مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس
فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه
وانتشار الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت على
النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم أزل اتفكر فيه مدة وانا بعد على

مقام الاختيار اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال
يوما واحل العزم يوما واقدم فيه رجلا واؤخر عنه أخرى لا يصفو لى
رغبة فى طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليه جند الشهوة حملة فيفترها
عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبنى بسلاسلها الى المقام ومنادى
الايمان ينادى الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا قليل وبين
يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل
فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن فمتى تقطع
فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود
الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك ان تطاوعها فانها سريعة
الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن
المنظوم الخالى عن التكدير والتنغيص والامر المسلم الصافى عن منازعة
الخصوم ربما التفت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم ازل اتردد
بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعى الآخرة قريبا من ستة اشهر اولها
رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة وفى هذا الشهر جاوز الامر حد
الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لسانى حتى اعتقل عن
التدريس فكنت اجاهد نفسى ان ادرس يوما واحدا تطييبا للقلوب
المختلفة وكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا استطيعها البتة ثم اورثت
هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام
والشراب فكان لا ينساغ لى شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى الى ضعف
القوى حتى قطع الاطباء طمعهم عن العلاج وقالوا هذا امر نزل بالقلب
ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح السر عن

الهم

ثم لما احسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت الى الله
الى التجاء المضطر الذى لا حيلة له فاجابنى الذى (يجيب المضطر
اذا دعاه) وسهل على قلبى الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد
والاصحاب واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا اورى فى نفسى سفر
الشام حذرا من ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمى فى المقام
بالشام فتلطفت بلطائف الحيل فى الخروج من بغداد على عزم ان لا
اعاودها ابدا واستهدفت لائمة اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من
يجوز ان يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك
هو المنصب الاعلى فى الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس
فى الاستنباطات وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من
جهة الولاة واما من قرب من الولاة فكان يشاهد الحاحهم فى التعلق
بى والانكار على واعراضى عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون
هذا امر سماوى وليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة
اهل العلم ففارقت بغداد وفرقت ما كان معى من المال ولم ادخر الا قدر
الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح
لكونه وقفا على المسلمين فلم ار فى العالم مالا يأخذه العالم لعياله اصلح
منه ثم دخلت الشام واقمت به قريبا من سنتين لا شغل لى الا العزلة
والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية
فكنت اعتكف مدة فى مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول
النهار واغلق بابها على نفسى ثم دخلت منها الى بيت المقدس ادخل

كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي ثم تحركت فيّ داعية فريضة
الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه
السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز
ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت
ابعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة ايضا حرصا على الخلوة
وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان
لا يصفو الحال الا في اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي منها
فتدفعني عنها العوائق واعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين
وانكشف لي في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها
واستقصاؤها والقدر الذي اذكره لينتفع به اني علمت يقينا ان الصوفية
هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير
وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل
العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء
ليغيروا شيئا من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا
اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة
من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور
يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي اول
شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري
منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله
وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل

تحت

تحت الاختيار والكسب من اوائلها وهى على التحقيق اول الطريقة
وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن اول الطريقة تبتدى
المكاشفات والمشاهدات حتى انهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة
وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى
الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق
النطق ولا يحاول معبر ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح
لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهى الامر الى قرب يكاد يتخيل
منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطاء
وقد بينا وجه الخطأ فيه فى كتاب المقصد الاقصى بل الذى لابسته تلك
الحالة لا ينبغى ان يزيد على ان يقول شعر

وكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة
الا الاسم وكرامات الاولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك
اول حال رسول الله عليه السلام حين اقبل الى جبل حراء حين كان يخلو
فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب ان محمدا عشق ربه وهذه حالة
يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها
بالتجربة والتسامع ان اكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن
الاحوال يقينا فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم
لا يشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقينا بشواهد
البراهين على ما ذكرناه فى كتاب عجائب القلب من كتب احياء علوم
الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق

والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث
درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) ووراء
هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا
الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون
وفيهم قال الله تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم
واتبعوا أهواءهم فأصمهم وأعمى أبصارهم) ومما بان لي بالضرورة
من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصيتها ولابد من التنبيه على
أصلها لشدة مسيس الحاجة اليها

﴿القول في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها﴾

اعلم ان جوهر الانسان في أصل الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه
من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى كما قال
(وما يعلم جنود ربك الا هو) وانما خبره من العالم بواسطة الادراك
وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من
الموجودات ونعني بالعوالم اجناس الموجودات فأول ما يخلق في
الانسان حاسة اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات كالحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر
عن الالوان والاصوات قطعا بل هي كالمعدوم في حق اللمس ثم يخلق
له البصر فيدرك به الالوان والاشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات
ثم ينفتح له السمع فيسمع الاصوات والنغمات ثم يخلق له الذوق كذلك
الى ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع

سنين

سنين وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أمورا زائدة على عالم
المحسوسات لا يوجد منها شئ في عالم الحس ثم يترقى الى طور آخر فيخلق
له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأمورا لا توجد
في الاطوار التي قبله ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر
بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمورا أخر العقل معزول عنها
كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات
التمييز وكما ان المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباها واستبعدها
فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك عين
الجهل اذ لا مستند لهم الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فظن انه
غير موجود في نفسه والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان
والاشكال وحكى له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها وقد قرب الله
تعالى على خلقه بان اعطاهم انموذجا من خاصية النبوة وهو النوم
اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب اما صريحا واما في كسوة مثال
يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه وقيل له ان من
الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه احساسه وسمعه
وبصره فيدرك الغيب لانكره واقام البرهان على استحالته وقال
القوى الحساسة أسباب الادراك فمن لم يدرك الاشياء مع وجودها
وحضورها فبأن لا يدرك مع ركودها أولى وأحق وهذا نوع قياس
يكذبه الوجود والمشاهدة فكما ان العقل طور من أطوار الآدمي
يحصل فيه عين يبصر بها أنواعا من المعقولات الحواس معزولة عنها
فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها

الغيب وأمور لا يدركها العقل والشك في النبوة اما ان يقع في امكانها
أو في وجودها ووقوعها أو في حصولها لشخص معين ودليل امكانها
وجودها ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور ان تنال
بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من بحث عنها علم بالضرورة انها
لا تدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل اليها
بالتجربة فمن الاحكام النجومية مالا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف
ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فتبين بهذا البرهان ان
في الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي لا يدركها العقل
وهو المراد بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك هذا الجنس
الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ولها خواص
كثيرة سواها وما ذكرناه قطرة من بحرها انما ذكرناها لان معك
أنموذجا منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في
الطب والنجوم وهي معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة
العقل أصلا أما ما عدا هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق
من سلوك طريق التصوف لان هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو
النوم ولولاه لما صدقت به فان كان للنبي خاصية ليس لك منها
أنموذج فلا تفهمها أصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق بعد
التفهم وذلك الانموذج يحصل في أوائل طريق التصوف فيحصل به
نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لا يحصل
بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان بأصل
النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين انه نبي أم لا فلا يحصل

اليقين

اليقين الا بمعرفة أحواله اما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع فانك
اذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة
أحوالهم وسماع أقوالهم وان لم تشاهدهم ولا تعجز أيضا عن معرفة
كون الشافعي رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة
لا بالتقليد عن الغير بان تتعلم شيأ من الفقه والطب وتطالع كتبهما
وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما فكذلك اذا فهمت
معنى النبوة فأكثر النظر في القرآن والاخبار يحصل لك العلم
الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة
وأعضد ذلك بتجربة ماقاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب
وكيف صدق في قوله (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وكيف
صدق في قوله (من أعان ظالما سلطه الله عليه) وكيف صدق في
قوله (من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا
والآخرة) فاذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم
ضروري لا تتمارى فيه فمن ذلك الطريق فاطلب اليقين بالنبوة
لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده
ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت
أنه سحر وتخييل وانه من الله اضلال فانه (يضل من يشاء ويهدى
من يشاء) وترد عليك مسألة المعجزات فان كان مستند ايمانك كلاما
منظوما في وجه دلالة المعجزة فينجزم ايمانك بكلام مرتب في وجه
الاشكال والشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق احدى الدلائل
والقرائن في جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر

مستندة على التعيين كالذى يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدرى ولا يخرج عن جملة ذلك ولا يتعين للآحاد فهذا هو الايمان القوى العامى وأما الذوق فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا فى طريق التصوف فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف فى الغرض الذى اقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة اليه

﴿ القول فى سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه ﴾

ثم انى لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لى فى أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهانى ومرة بالقبول الايمانى ان الانسان خلق من بدن وقلب وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله دون اللحم والدم الذى يشاركه فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو (الا من أتى الله بقلب سليم) وله مرض فيه هلاكه الابدى الاخروى كما قال تعالى (فى قلوبهم مرض) وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله بمتابعة الهوى داؤه الممرض وأن معرفة الله تعالى ترياقه المحيى وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافى وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بأدوية كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان أدوية البدن تؤثر فى كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين أخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء

الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها
ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تأثيرها
ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك
الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركب من
النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار فلا يخلو
اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات
التي هي ادوية داء القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار
حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في
المقدار فلا يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التي لا يطلع
عليها الا بنور النبوة فقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط
بطريق العقل لها حكمة أو ظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر
الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما ان في الادوية أصولا هي
أركانها وزوائد هي متمماتها لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال
أصولها كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان
العبادات وعلى الجملة فالانبياء اطباء أمراض القلوب وانما فائدة
العقل وتصرفه ان عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه
بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة وأخذ بايدينا وسلمنا اليها تسليم
العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين
والى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن
تفهيم ما يلقيه الطبيب اليه فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية
مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة ثم رأينا فتور الاعتقادات

في أصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما شرحته
النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت في أسباب فتور
الخلق وضعف ايمانهم فاذا هي أربعة سبب من الخائضين في علم
الفلسفة وسبب من الخائضين في طريق التصوف وسبب من
المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاملة الموسومين بالعلم
فيما بين الناس فاني تتبعت مدة آحاد الخلق اسأل من يقصر منهم
في متابعة الشرع واسأله عن شبهته وابحث عن عقيدته
وسره وقلت له مالك تقصر فيها فان كنت تؤمن بالآخرة ولست
تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة فانك لا تبيع الاثنين
بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن
به فانت كافر فدبر نفسك في طلب الايمان وانظر ما سبب كفرك
الخفي الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جرأتك ظاهرا وان كنت
لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع فقائل يقول
هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك وفلان
من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل
أموال الاوقاف وأموال اليتامى وفلان يأكل ادرار السلطان ولا يحترز
عن الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى
أمثاله وقائل ثان يدعي علم التصوف ويزعم انه قد بلغ مبلغا ترقى عن
الحاجة الى العبادة وقائل ثالث يتعلل بشبهة اخرى من شبهات أهل
الاباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقائل رابع لقي
أهل التعليم فيقول الحق مشكل والطريق اليه متعسر والاختلاف فيه

كثير

كثير وليس بعض المذاهب أولى من البعض وأدلة العقول متعارضة
فلا ثقة برأي أهل الرأي والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف أدع
اليقين بالشك وقائل خامس يقول لست أفعل هذا تقليدا ولكني
قرأت علم الفلسفة وأدركت حقيقة النبوة وان حاصلها يرجع الى
الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق
وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما انا
من العوام الجهال حتى ادخل في حجر التكليف وانما أنا من الحكماء
اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى ايمان من
قرأ مذهب فلسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي
نصر الفارابي وهؤلاء هم المتجملون منهم بالاسلام وربما ترى الواحد
منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه
ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا
قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي فربما يقول لرياضة الجسد
وعادة أهل البلد وحفظ المال والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة
حق فيقال فلم تشرب الخمر فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث العداوة
والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك وانما أقصد به تشحيذ خاطري حتى
ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذا
وكذا وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية
والبدنية ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته في
صفاء الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي
فهذا ايمان من يدعي الايمان منهم وقد انخدع بهم جماعة وزادهم

أخذا على ضعف اعتراض المعترضين عليهم اذا اعترضوا بمجاحدة علم
الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هو ضروري لهم على ما نبهنا عليه
من قبل فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد
بهذه الاسباب ورأيت نفسي مليئة بكشف هذه الشبهة حتى كان
افتضاح هؤلاء ايسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم
أعني الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين من العلماء انقدح
في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة
والعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء وأشرف الخلق على الهلاك
ثم قلت في نفسي ومتى تستقل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه
الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة
الخلق عن طرقهم الى الحق لعاداك أهل الزمان باجمعهم وأنى
تقاومهم فكيف تعايشهم ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد وسلطان
متدين قاهر فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللا
بالعجز عن اظهار الحق بالحجة فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان
الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج فامر أمر الزام بالنهوض الى
نيسابور لتدارك هذه الفترة وبلغ الالزام حدا كان ينتهي لو اصررت
على الخلاف الى حد الوحشة فخطر لي ان سبب الرخصة قد ضعف فلا
ينبغي ان يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة وطلب
عز النفس وصونها عن اذى الخلق ولم ترخص نفسك بعسر مقاساة
الخلق والله تعالى يقول (بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ولقد فتنا الذين

من

من قبله الآية) ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه (ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم
نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين * ويقول
عز وجل (بسم الله الرحمن الرحيم يس * والقرآن الحكيم * الى
قوله انما تنذر من اتبع الذكر) فشاورت في ذلك جماعة من أرباب
القلوب والمشاهدات فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج
من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة
تشهد بان هذه الحركة مبدء خير ورشد قدرها الله سبحانه على رأس
هذه المائة وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس كل مائة
فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ويسر الله
تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع
وتسعين واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان
وثمانين واربعمائة وبلغت مدة العزلة احدى عشر سنة وهذه
حركة قدرها الله تعالى وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها
انقداح في القلب في هذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد
والنزوع عن تلك الاحوال مما يخطر امكانه أصلا بالبال والله تعالى
مقلب القلوب والاحوال (وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع
الرحمن) وانا أعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما رجعت فان
الرجوع عود الى ما كان وكنت في ذلك الزمان انشر العلم الذي به
يكسب الجاه وادعو اليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي واما
الآن فادعو الى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه

هذا هو الآن نيتي وقصدي وامنيتي يعلم الله ذلك مني وانا ابغي ان أصلح
نفسي وغيري ولست ادري أأصل الى مرادي ام أخترم دون غرضي
ولكني أومن ايمان يقين ومشاهدة أنه (لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم) وأني لم أتحرك لكنه حركني وأني لم أعمل لكنه استعملني
فاسأله ان يصلحني أولا ثم يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي وان يريني
الحق حقا ويرزقني اتباعه ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه
ونعود الآن الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان بذكر طريق
ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم اما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه
من أهل التعليم فعلاجهم ما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم ولا
نطول بذكره في هذه الرسالة واما ما توهمه أهل الاباحة فقد حصرنا
شبههم في سبعة أنواع وكشفناها في كتاب كيمياء السعادة واما من
فسد ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر أصل النبوة فقد ذكرنا
حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص
الادوية والنجوم وغيرهما وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل ذلك وانما
أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لانه من نفس علمهم ونحن
نبين لكل عالم بفن من العلم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر
والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة وأما من أثبت النبوة
بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر
بالنبوة وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضي طالعه ان
يكون متبوعا وليس هذا من النبوة في شئ بل الايمان بالنبوة
ان يقر باثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات
خاصة

خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن ادراك الالوان والبصر
عن ادراك الاصوات وجميع الحواس عن ادراك المعقولات وان لم
يجوز هذا فقد أقمت البرهان على امكانه بل على وجوده فان
جوز هذا فقد أثبت ان ههنا أمورا تسمى خواص لا يدور تصرف
العقل حوالها أصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها فان
وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط
برودته والذي يدعي علم الطبيعة يزعم أن ما يبرد من المركبات انما يبرد
بعنصري الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم ان ارطالا
من الماء والتراب لا يبلغ تبريدهما في الباطن الى هذا الحد فلو
أخبر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال هذا محال والدليل على استحالته ان
فيه نارية وهوائية والهوائية والنارية لا تزيده برودة فنقدر الكل
ماء وترابا فلا يوجب هذا الافراط في التبريد فان انضم اليه حاران
فبأن لا يوجب أولى ويقدر هذا برهانا وأكثر براهين الفلاسفة
في الطبيعيات والالهيات مبني على هذا الجنس فانهم تصوروا
الامور على قدر ما وجدوه وعقلوه وما لم يألفوه قدروا استحالته ولو لم
تكن الرؤيا الصادقة مألوفة وادعى مدع أنه عند ركود الحواس
يعلم الغيب لانكره المتصرفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل
يجوز أن يكون في الدنيا شيء هو مقدار حبة يوضع في بلدة فيأكل
تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيء من البلدة وما فيها
ولا يبقى هو في نفسه لقال هذا محال وهو من جملة الخرافات وهذه
حالة النار وينكرها من لم ير النار اذا سمعها وأكثر عجائب الآخرة

وهو من هذا القبيل فنقول للطبيعى قد اضطررت الى أن تقول فى الافيون خاصية فى التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون فى الاوضاع الشرعية من الخواص فى مداواة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا يبصر ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بخواص هى أعجب من هذا فيما أوردوه فى كتبهم وهى من الخواص العجيبة المجربة فى معالجة الحامل التى عسر عليها الطلق بهذا الشكل (٨) يكتب على خرقتين لم يصبهما الماء وتنظر اليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت قدميها فيسرع الولد فى الحال الى الخروج وقد أقروا بامكان ذلك وأوردوه فى كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع ما فى جدول واحد خمسة عشر قرأته فى طول الشكل أو فى عرضه أو على التأريب فليت شعرى من يصدق بذلك ثم لا يتسع عقله للتصديق بان تقدير صلاة الصبح بركعتين والظهر بأربع والمغرب بثلاث هى لخواص غير معقولة بنظر الحكمة وسببها اختلاف هذه الاوقات وربما تدرك هذه الخواص بنور النبوة والعجب انا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الاوقات فنقول أليس يختلف الحكم فى الطالع بان تكون الشمس فى وسط السماء أو فى الطالع أو فى الغارب حتى يبنوا على هذا فى تسييراتهم اختلاف الهيلاج وتفاوت الاعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كون الشمس فى وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس فى الغارب فهل لتصديقه سبب الا أن ذلك يسمعه

(٨) تأتى صورته فى آخر الكتاب

بعبارة

2 nightmare
strange dream

بمعاودة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا تزال تعاوده تصديقه حتى
لو قال المنجم اذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر اليها الكوكب
الفلاني والطالع هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك
الوقت قتلت في ذلك الثوب فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما
يقاسي فيه البرد الشديد وربما سمعه من منجم قد عرف كذبه مرات
فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر الى الاعتراف
بانها خواص معرفتها معجزة بعض الانبياء كيف ينكر مثل ذلك
فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب
واذا نظر في امكان هذه الخواص في أعداد الركعات ورمي الجمار
وعدد أركان الحج وسائر تعبدات الشرع لم يجد بينها وبين خواص
الادوية والنجوم فرقا أصلا فان قال قد جربت شيأ من النجوم وشيأ
من الطب فوجدت بعضه صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط من
قلبي استبعاده ونفرته وهذا لم أجربه فبم أعلم وجوده وتحققه وان أقررت
بامكانه فأقول انك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار
المجربين وقلدتهم فاسمع أقوال الاولياء فقد جربوا وشاهدوا الحق
في جميع ما ورد به الشرع واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك
على اني اقول وان لم تجربه فيقتضي عقلك وجوب التصديق والاتباع
قطعا فانا لو فرضنا رجلا بالغ وعقل ولم يجرب المرض فمرض وله
والد مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن
له والده دواء فقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا
يقتضيه عقله وان كان الدواء مرا كريه المذاق أيتناول أو يكذب

ونقول انا لا أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه فلا شك انك تحققه ان فعل ذلك وكذلك يتحقق أهل البصائر في توقفك فان قلت فبم اعرف شفقة النبي عليه السلام ومعرفته بهذا الطب فأقول وبم عرفت شفقة ابيك وليس ذلك أمرا محسوسا لكن عرفته بقرائن أحواله وشواهد أعماله في مصادره وموارده علما ضروريا لا تتمارى فيه ومن نظر في أقوال رسول الله عليه السلام وما ورد من الاخبار في اهتمامه بارشاد الخلق وتلطفه في حق الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بان شفقته على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده واذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الافعال والى عجائب الغيب الذي أخبر عنه في القرآن على لسانه وفي الاخبار الى ما ذكره في آخر الزمان وظهور ذلك كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت له العين الذي ينكشف منها الغيب الذي لا يدركه الا الخواص والامور التي لا يدركها العقل فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بصدق النبي عليه السلام فجرب وتأمل القرآن وطالع الاخبار تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان وأما السبب الرابع وهو ضعف الايمان بسبب سوء سيرة العلماء فتداوي هذا المرض بثلاثة أمور (أحدها) ان تقول ان العالم الذي تزعم انه يأكل الحرام معرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة

وانت

وانت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم ايمانك بانه معصية بل لشهوتك
الغالبة عليك فشهوته كشهوتك وقد غلبته كما غلبتك فعلمه بمسائل
وراء هذا يتميز به عنك لا يناسب زيادة زجر عن هذا المحظور المعين
وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد وان زجره
الطبيب عنه ولا يدل ذلك على انه غير ضار او على ان الايمان بالطب غير
صحيح فهذا محمل هفوة العلماء (الثاني) ان يقال للعامي ينبغي ان تعتقد
ان العالم اتخذ علمه ذخرا لنفسه في الآخرة ويظن ان علمه ينجيه ويكون
شفيعا له حتى يتساهل معه في أعماله لفضيلة علمه وان جاز أن يكون
زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة درجة له وهو ممكن فهو
وان ترك العمل يدلي بالعلم أما انت أيها العامي اذا نظرت اليه وتركت
العمل وأنت عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك (الثالث)
وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي لا يقارن معصية الا على سبيل الهفوة
ولا يكون مصرا على المعاصي أصلا اذ العلم الحقيقي ما يعرف ان المعصية
سم مهلك وان الآخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك لا يبيع الخير
بما هو أدنى وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر
الناس فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية الله تعالى وأما
العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا وذلك يحول بينه وبين
المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات وذلك لا يدل
على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار
والاكباب فهذا ما أردت ان أذكره في ذم الفلسفة والتعليم وآفاتهما
وآفات من أنكر عليهما لا بطريقه ونسأل الله العظيم ان يجعلنا من

آثره واجتباه وارشده الى الحق وهداه والهمه ذكره حتى لا ينساه
وعصمه من شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه واستخلصه لنفسه حتى
لا يعبد الا اياه

بحمد رب البرية والصلاة والسلام على المنقذ من الضلال تم طبع كتاب
المنقذ من الضلال تأليف الامام الغزالى حجة الاسلام أفاض
الله عليه من سحائب الرحمة كل سجام بالمطبعة الزاهرة
الاسلامية مصححا بغاية الضبط مقابلا على نسختين
صحيحتين فجاء كما يرام على يد أفقر العباد الى
الله عبده مصطفى محمد قشيشه ختم
الله له ولاخوانه بالايمان
بجاه خاتم المرسلين
سيد ولد عدنان
آمين

د	ط	ب
ج	ه	ز
ح	ا	و

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

﴿ فهرست المضنون الكبير للامام حجة الاسلام الغزالى ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت فهرست المضنون الكبير بعون الملك القدير ﴾